المحاضرة الثانية عشر : الاتجاه الاسلامي في الفن

١ ـ الفن الاسلامي :

لقد تعددت الآراء حول الجمالية العربية كمفهوم وموضوع ومنهج ، فهناك من أكد على وجودها وهناك من أنكر وجودها .

أميرة حلمي مطر : تؤكد أميرة حلمي مطر على وجود الفن والجمال الاسلامي بقولها " فأنا أقول أن هناك رؤية جمالية عربية ترتبط بالإبداع الفني العربي و الاسلامي و التنظير الواع له ، وأننا يجب أن ننظر الى الجمالية العربية من خلال هذا المعنى وهذه الزاوية " [1]

أحمد مجاهد : " اذا قلنا جماليات وكنا نقصد علم جمال ، فالعلم غير مرتبط بقومية من القوميات ، فأنا لا أستطيع أن أقول علم جمالي عربي ، فهناك جهود عربية في علم الجمال و لكن علم الجمال نفسه لا يتصف بصفة قومية ، فليست هناك جماليات عربية ولا جماليات يونانية ، بل هناك جهود عربية وجهود يونانية في هذا المجال " [2]

ان أحمد مجاهد بهذا الطرح يؤكد على عدم قومية علم الجمال فهو يرتبط لا برقعة جغرافية ولغة ولا ايديولوجية بل هناك جهود في هذا الاتجاه لكل أمة .

كما يرى صالح قنصوه أنه " علينا أن نتساءل عن مشروعية وصف الجمال بقومية ما."[3]

---

[1] عبيد يونس: فلسفة الفن والجمال في الفكر الاسلامي ، دار عالم الكتب ، ط١ ، ٢٠١٥ ، ص ١١
[2] المرجع نفسه ، ص ٣١١
[3] المرجع نفسه ، ص ٣١١

جابر عصفور : يرى جابر عصفور " أننا لا نستطيع أن نقول أن علم جمال فرنسي أو علم جمال لاتيني أو يوناني أو علم جمال عربي ، لكن اذا كان المقصود اسهاما عربيا في تاريخ علم الجمال فهو استخدام مضبوط " [4]

علي زيغور : يرى علي زيغور " اننا لا نلقي في الفكر العربي الاسلامية اهتماما جادا مكدسا لدراسة الجميل والتجربة الشعورية وقد وقف على نحو وضعي و علمي ، أو على شكل نظرية معيارية فلسفية "[5]

٢ـ الجمال في الدين الاسلامي : لقد وردت كلمات ، الجمال ، و البهاء ، والحسن والزينة في كثير من آيات القران الكريم لتصف جماليات الشكل واللون و اللمس والحركة والصوت. ذلك الجمال الحقيقي الذي يدركه فيما حولنا من موجودات من خلال الحواس

الانسانية الخمس في ادراك جمال الأحياء من انسان وحيوان و جمادات . [6]

ولقد عني الدين الاسلامي منذ انساق دعوته بتربية النواحي الروحية والذوقية عند المسلم ولفت الأنظار الى نواحي الفن والجمال في هذا الكون " [7]

يعرف أبو حيان التوحدي الجمال " فأما الحسن والقبيح فلا بد له من البحث اللطيف عنها حتى لا يجوز ، فيرى القبيح حسنا والحسن قبيحا فيأتي هذا ،ويرفض ذاك ومنشئ الحسن والقبيح كثيرة ، منها طبيعي ، ومنها بالعادة ومنها بالشرع ومنها بالعقل ، ومنها بالشهرة .

فاذا اعتبر هذه المناشئ صدق الصادق منها وكذب الكاذب وكان استحسانه على قدر ذلك"[8]

---

[4] المرجع نفسه ، ص ٣١٢
[5] عبيد يونس ، المرجع السابق ، ص ٣١٢
[6] عبيد يونس ، المرجع السابق ، ص ٣١٤
[7] المرجع السابق ، ص ٣١٥
[8] عفيف البهنسي : علم الجمال عند أبو حيان التوحدي ، ص ٠٢

كما يرى الغزالي أنه لا محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه [9]

ان أول تعريف للغزالي عن القبح والجمال هو تعريفه للحب الذي هو ميل طبيعي للإنسان نحو كل المخلوقات المحيطة به .

ان مفهوم الجمال عند الفلاسفة المسلمين ارتبط بالقبح و الحسن فما هو حسن فهو جميل و ما هو قبيح ليس جميل

٣ ـ خصائص الفن الاسلامي :

ـ الفن الاسلامي تعبير الجميل عن حقائق الوجود ، من زاوية الحضور الاسلامي لهذا الوجود [10]

ـ مجالات الفن الاسلامي هي كل مجالات الوجود موسومة من خلال النفس المؤمنة المتفتحة بالإيمان " [11]

ـ الفن الاسلامي يعني عناية خاصة بحقيقة الشمول والتكامل في النفس البشرية فلا يجب مثلا أن يعرض الجانب المادي من الانسان وحده بمعزل عن الجانب الروحي . [12]

الفن الاسلامي يوسع رقعة الحياة يوصل ما بين السماء والأرض ، والدنيا والاخرة ، وما بين الانسان والكائنات الأخرى وما بين الفرد والجماعة ، وما بين الانسان الفرد والانسانية التي تعمر هذا الكوكب منذ حقب موغلة في التاريخ وما تزال تطلع الى مستقبل بعيد [13]

---

[9] عبيد يونس ، المرجع السابق ص ٣١٨
[10] محمد قطب : منهج الفن الاسلامي ، دار الشروق ، ط٦ ، ١٩٨٣ ، ص ١١٩
[11] المرجع نفسه ، ص ١٢١
[12] محمد قطب ، المرجع السابق ، ص ١٢٨
[13] المرجع نفسه ، ص ١٣٠

ـ الفن الاسلامي موكل بالجمال يتتبعه في كل شيء وكل معنى في هذا القران الكريم وبالتالي لا يمكن أن يكون هذا الكتاب المقدس معاديا للفن وقصة العداء بين الاسلام والفن قصة لا يمكن أن يكون لها أساس من الصحة على الاطلاق[14]

كما أنه هناك صفات أخرى للفن الاسلامي هو وحدته الأساسية من حيث التصور العام لعالم الأشكال و المساحات و الأحجام ، أي للمكونات المادية لهذا الفن ، كما أن الفن أيضا بالتكرار و التنوع و التجريد[15]

٤ ـ تفسير الابداع الفني عند فلاسفة الاسلام

أ ـ الالهام عند ابن سينا و الغزالي :

لقد تحدث ابن سينا عن الابتكار حيث أكد أنه ينطوي على عمليتين أساسيتين من التجميع والتفريق بين الصور والمعاني حتى تأتي على هيئة جديدة لم يدركها الحس من قبل وفي خضم هذا النشاط التخيلي المبتكر من عمليات التفريق و التجميع بين الصور و الأفكار والمعاني [16]

كما يعرف ابن سينا الالهام والوحي " أنه قبول القوة المتخيلة للصور عن الملكوت أو العقل الفعال ، وقد يحدث هذا في حال اليقظة فيسمى وحيا أو الهاما كما يحدث في حال النوم فيكون رؤيا"[17]

فالعمل الفني عند ابن سينا هو فعل ابتكاري خلاق يقوم على وضع أبعادا جديدة لم توجد من قبل، كما يرى ابن يوسف الكندي " أن الابداع هو اظهار الشيء عن لبس[18]

أما شيخ فلاسفة الاسلام الامام الغزالي فانه يبني تصوره للإلهام على أساس مفهوم الادراك الذي ينقسم الى قسمين ادراك ، والتعلم والاكتساب عن طريق الاستدلال

---

[14] المرجع نفسه ، ص ١٣٣
[15] المرجع نفسه ، ص ١٣٣
[16] عبيد يونس ، المرجع السابق ، ص ٣٦٥
[17] عبيد يونس ، المرجع السابق ، ص ٣٦٥
[18] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

والتجربة والاستنباط و هو التعلم الانساني و الادراك عن طريق الكشف و الالهام وهو ما يسميه الغزالي التعلم الرباعي [19]وقد وضع الغزالي مجموعة من الاثباتات على ذلك من القران الكريم وذلك من خلال العديد من الآيات نذكر منها قال تعالى " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها "

ويقول أيضا : " ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب "

ـ الالهام عند التوحيدي :

أما الالهام عند أبو حيان التوحيدي فهو ينعكس بالبديهة التي يعتبرها على طرف النقيض مع الرؤية العقلية " فالبديهة قدرة روحانية في جبلة بشرية و الرؤية صورة بشرية في جبلة روحانية "[20]

كما يرى التوحيدي أن الالهام وحده لا يكفي لإبداع الفن بل لابد معه من موهبة الفنان و استعداده وثقافته ومهارته في الأداء[21] ان الفن عند التوحيدي قائم على الالهام و الذي بدوره قائم على البديهة بالإضافة الى موهبة الفنان .

ج ـ الخلق الفني عند ابن طباطبا :

ان عملية الخلق الفني عند ابن طباطبا عند الشاعر تمر بثلاث مراحل رئيسية وهامة وهي الفكرة أو الحدس ، ثم التعبير عن هذا الحدس واخراج الافكار في صورة مجموعة من الألفاظ و الأبيات غير المرتبة و غير المترابطة ، ثم مرحلة التهذيب و ترتيب الأبيات والربط بينهما واجراء التعديلات اللازمة لتكامل العمل الشعري في النهاية [22]

---

[19] المرجع نفسه ، ص ٣٦٧
[20] المرجع نفسه ، ص ٣٦٩
[21] المرجع نفسه ، ص ٣٧٠
[22] عبيد يونس ، المرجع السابق ، ص ٣٧١

ان نظرية الخلق الفني عند ابن طباطبا مرتبطة بنظريته في الشعر التي ترتكز على الفكرة و الحدس والتعبير أي أن أفكار الشاعر يعبر عنها بألفاظ في أبيات مرتبطة ثم يقوم الشاعر بترتيبها ليشكل لنا في الأخير قصيدة شعرية .

٥ ـ تفسير الخبرة الجمالية في التذوق الفني :

أ ـ التذوق الفني عند أبو حيان التوحيدي /

ان التذوق الجمالي عند التوحيدي يتأثر بعاملين هما مزاج المتذوق نفسه وصفات الشيء الذي بصدد تذوقه ، والتذوق الفني تبعا لذلك عملية معقدة شأنها شأن الابداع الفني ، يحتاج المتذوق الى قوة ابداعية تساعده على التذوق الجمالي "[23]

شرط التوحيدي في فعل التذوق ذات مدركة بمزاجها و اعتدالها و خبرتها ، ثم الشيء المدرك الذي يحمل الصفات و القيم الجمالية فاذا كانت الطبيعة بحسب التوحيدي تقتضي النفس فان من واجب الفن أن يقتضي الطبيعة لأنه في هذه الحالة يحقق رغبة النفس وهذا هو هدف العمل الفني لهذا يرى التوحيدي أي مقياس الجمال في الفن يرجع الى مدى افتقاد هذا العمل للنفس ، وذلك بتحقيق تصورات المتذوق ورغباته وميله الى العمل الفني . [24] وعلى هذا الأساس يفرق التوحيدي بين لذة المتذوق الجمالي واللذة الحسية على أساس أن المتذوق للجمال مشدود نحو المعنى المجرد ، والقيمة الكلية للعمل الفني وليس مع المادة المحسوسة نفسها

٦ ـ وظيفة الفن و أثره في تطهير النفس

يرى الكندي أنه اذا صارت النفس الى الفلك الأعلى وبقيت غاية النقاد وزالت أدناس الحس وخيالاته وخبته منها ارتفعت الى عالم العقل وحازت الفلك وصارت في أجل

---

[23] المرجع نفسه ، ص ٣٧٥

[24] المرجع السابق ، ص ٣٦٧

محل و أشرفه وصارت بحيث لا تخفى عنها خافية ، وطاقت نور البارئ وصارت نعلم كل الأشياء قليلها وكثيرها .[25]

لذى يرى الكندي أنه لا صلة الى بلوغ النفس الى هذا المقام والرتبة الشريفة هي هذا العالم الا التطهير من الأدناس ، فان الانسان اذا تطهر من الأدناس ، فان صارت نفسه صقيلة تصلح وتقدر أن تعلم الخفيات من العيوب [26].

كما يرى بدر الدين لظفر أن الأطباء أجمعوا على أن النظر الى الصورة الجميلة البديعة ، الجمال يفرح النفس وينشطها وبزبل عنها الأفكار و الوساوس من السوداوية ويقوي القلب قوة لأمر يدل عليها بسبب ازالة الأفكار ، اذن فالفن وفق هذا التوجه الاسلامي له وظيفة هامة في تطهير النفس من الخصال القبيحة والأمراض النفسية كما أنه وسيلة لزرع البهجة والسعادة في نفوس الأشخاص .

[25] عبيد يونس ، المرجع السابق ، ص ٣٨٠
[26] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها